تأثير نظرية الدلالة عند فريجه

في تشكيل الخطاب الفلسفي لفتجنشتاين

Samia Merabtin
(ENS Constantine)

Abstract :

Frege's theory of denotation was the fundamental basis on which are based the majority of philosophical, logical and mathematical studies. This theory has played an important role in the formation of modern philosophical discourse in general and the construction of epistemological frameworks of the study of language in Wittgenstein in particular. The most famous ideas of Wittgenstein were the result of his criticism of several ideas of Russell and Frege. Wittgenstein's ideas had an allegiance to the Frege's philosophy of language especially as regards his rejection of psychologism, his defense of logic, and especially for his formulation of the principle of contextuality. Frege also explained the distinction between sense and reference around which are founded the two main theories of Wittgenstein known by the correspondence theory and the theory of language games.

الملخص:

شكلت نظرية الدلالة عند غوتلوب فريج ه القاعدة الأساسية التي تقوم عليها أغلب الأبحاث الفلسفية والمنطقية وحتى الرياضية المعاصرة، ولعبت دورا كبيرا في تشكيل الخطاب الفلسفي المعاصر عموما وصياغة الأطر الابستمولوجية لفلسفة اللغة عند فجنشتاين خصوصا. تعتبر أفكار لودفيج فيتجنشتاين محصلة للممارسة النقدية التي وجهها للعديد من النظريات والأفكار الفلسفية والمنطقية عند كل من راسل وفريجه، ولقد كانت هذه الأفكار تحمل في طياتها تأثرا كبيرا بآراءِ فريج -خاصة فيما تعلق في تمييزه بين المعنى والدلالة، في رفضه للنزعة النفسانية ،وتأكيده على الاعتبارات الابستمولوجية للمنطق وفي صياغته لمبدإ السياق- والتي شيّد من خلالها نظريتيه المشهورتين : النظرية التصويرية وكذا نظرية ألعاب اللغة.

Résumé :

La théorie de la dénotation chez Frege a été la base fondamentale sur la quelle se base la majorité des études philosophiques, logiques et même mathématique. Cette théorie a joué un rôle important dans la formation du discours philosophique moderne en général et dans la construction des cadres épistémologiques de l'étude du langage chez Wittgenstein en particulier. Les idées les plus célèbres de Wittgenstein étaient le résultat de sa critiques de plusieurs idées propres à Russell et à Frege. Ses idées avaient une allégeance envers la philosophie du langage de Frege surtout en ce qui concerne son refus du psychologisme, sa défense de la logique, et surtout sa formulation du principe de contextualité. Frege a aussi mis au point la distinction entre le sens et la référence autour de laquelle il a influencé les deux théories principales de Wittgenstein connues par : la théorie de la correspondance et la théorie des jeux de langage.

ارتبطت اللغة بالإنسان أشد الارتباط منذ غابر العصور، فكانت متنفسه الوحيد وكانت القناة الوحيدة التي يمرر من خلالها أهدافه ومقاصده، لهذا استطاع أن يعيش داخل بيت اللغة ويترعرع فيها، بل كانت هي الرابط الوحيد الذي يجمع أواصر العديد من الأقوام والمجتمعات، ولما تفطن لهذا الدور عرف أنه باللغة فقط يستطيع تجاوز كل العوائق، وفتح كل المغاليق والبحث عن كل مجهول لتحقيق أهدافه عن طريق ملكة اللسان، ومهما يكن من أمر فإن هذه السمات هي من فتحت ذراعيها لكل من يريد أن يغوص في أغوار عالم اللغة ويستجلي معاني مفرداتها وينظر في تراكيبها وفي وضوحها وغموضها بحثا عن المعرفة ،فكانت الكلمة إذن في البدءِ... وكانت الكلمة أخيرا الغاية.

وفي مفترق المعنى والدلالة ينجز الإنسان اليوم حفرياته المعرفية ليؤكد أن المعنى كان النواة الثاوية خلف كل الإطارات الابستيمولوجية والقراءات المعرفية، لذلك فلا عجب أن كان اهتمام أولي الفكر وأرباب النظريات الفلسفية المختلفة أكثر من غيرهم بهذه النواة لفهمها وسبر كنهها.

تعتبر مشكلة المعنى والدلالة من أهم وأعقد مشكلات فلسفة اللغة ومن أهم مباحثها خاصة بعد أن تعوّد الإنسان منذ تأسيسه للنظام اللغوي على ربط الألفاظ والرموز بالمعاني والمدلولات، مما طرح مشكلة طبيعة العلاقة بين هذه الألفاظ ودلالتها من جهة وبين الفكر والواقع من جهة أخرى، وما تعدد النظريات الفلسفية الباحثة في طبيعة المعنى، والجدال الفكري القائم بينها إلا دليل شاهد على أهمية البحث الدلالي في الفكر اللغوي عموما والفلسفي بوجه أخص، كون أن هذه النظريات تمثل مجموع ما طرحته الخبرة الإنسانية في مجال دراسة المعنى من سبل في تناوله والوقوف على أبعاده الغائبة.

ولا يختلف اثنان في أن الفلسفة التحليلية قد تبلورت بداياتها الأولى من خلال أعمال الفيلسوف والعالم المنطقي غوتلوب فريجهG.Frege (1848-1925)الذي مهّد بمنهجه لبزوغ معالم الاتجاه التحليلي من خلال تسليط الضوءِ على مصدر المشكلات الفلسفية الذي يعود بالدرجة الأولى للاستعمال السيءِ للغة من جهة وكذا للعيوب التي تكتنف اللغة العادية التي تعد مصدر الخطأ وسوءِ الفهم في كثير من الأحيان، ولا يمكن تفادي هذه الأخطاءِ في نظره إلا بإنشاءِ لغة اصطناعية دقيقة تتحدد فيها معاني الألفاظ ودلالاتها بدقة، مما لا يفتح مجالا للشك فيما بعد للخطأ والغموض.

ولأجل استكمال هذا المشروع طرح فريجه نظريته في الدلالة التي تعد من أهم نظريات الدلالة وأشهرها في تاريخ فلسفة اللغة خصوصا، وعلم الدلالة بوجه عام، ما جعل أهميتها تبلغ شأوا عظيما في أبحاث من جاءِ بعده من الفلاسفة المعاصرين، لا لشيءِ سوى لأن هذه النظرية كانت بمثابة فسيفساءِ فلسفية فسيحة الأرجاءِ ومتعددة الجوانب: نظرية في علم الدلالة وفي المنطق وكذا في فلسفة العدد، ضف إلى ذلك فلسفة اللغة، وغير ذلك من الميادين المعرفية المختلفة، رغم أنها كانت نظرية مغمورة لم يسدل عنها الستار إلا في وقت غير بعيد.

وفي الحقيقة إن البحث في مشكلة المعنى والمرجع عند فريجه يكتسي أهمية كبيرة كونه يبحث في معايير المعنى وخصائصه وآليات كشفه بإماطة اللثام عن العلاقات التي ينشئها الفكر مع المعنى من جهة ومع الواقع من جهة أخرى، ويزداد البحث في هذه المشكلة أهمية حينما يتعلق الأمر بفكر فريج بالنظر إلى تعدد وثراءِ الجوانب التي يشغلها من جهة، وإلى صرامة المنهج الذي يعتمده من جهة أخرى، وكذا إلى الدقة التي يتوخّاها طلبا للوضوح والضبط المنطقي للفكر الإنساني بالإضافة إلى التأثير الكبير الذي خلفه في فلسفات من جاءِ بعده،وبالتحديد في فكر فيتغنشتاين،فماهي أهم ركائز هذه النظرية؟وماهي تجلياتها في فلسفة فيتغنشتاين؟

أولا معالم نظرية الدلالة عند فريجه:

كان من نتائج اهتمام فريج بتحليل اللغة والكشف عن مختلف تراكيبها، وغموض عباراتها تسليط الضوءِ على كثير من المشكلات الفلسفية التي ظهرت إلى الوجود نتيجة سوءِ استعمال قواعد اللغة، كما تمكن من تطوير المنهج التحليلي للغة الحياة اليومية، بالإضافة إلى المنطق والرياضيات، وأصبح هذا المنهج هو المنهج العلمي المتبع في الدراسات الفلسفية على اختلاف موضوعاتها. ومن أهم الأسس التي تنبني عليها نظرية الدلالة نجد:

1: نقد اللغة العادية:

اعتبر العديد من المفكرين أن اتجاه فريجه إلى الاهتمام باللغة يمثل البدايات الأولى لفلسفة اللغة[1] وبالتحديد تعود إلى بعض الأعمال التي نشرها عام 1892، كون أن هذه الأعمال عبّرت عن توجه في رد الخلل في التفكير إلى كون اللغة التي نستخدمها -كما يرى - ليست محكومة بقوانين المنطق وإلى كونها تمتاز بالتنوع وعدم الثبات، لذلك فمن أجل أن نعبّر عن أفكارنا بطريقة دقيقة فإننا نحتاج إلى مجموعة من علامات Signes خالية من كل غموض، وحيث تكون الصورة المنطقية الحقيقية لا تسمح بفقدان المضمون، هذه المجموعة من العلامات هي التي تشكل ما أسماه فريجه بالإيديوغرافيا Idéographie(*)، ويعرفها قائلا: "إنها تتألف من عبارات بسيطة، هذه العبارات تؤد إلى الحد الأدنى الضروري الذي يجعلها تقبل الاستخدام بسهولة"[2].

ولأن هدف فريجه الأساسي ينصب على العلم الرياضي "فإن الحاجات الملحة للرياضيات هي التي دفعته لأن يكون مجددا في المنطق"[3]، كما انتقد اللغة الصورية المستخدمة في علم الحساب قائلا "إن اللغة الصورية للحساب تفتقد للتعبير عن الروابط المنطقية، ولا تستحق اسم الإيديوغرافيا بالمعنى الكامل"[4].

---

[1] Diego Marconi : La philosophie du langage au XXe siècle, traduit par Michel Valensi, édition de l'éclat, 1997, pp 9-10.

(*) ويسميها راسل اللغة الكاملة منطقيا Logically perfect language .

[2] Frege: la science justifie le recours a une idéographie dans écrits logiques et philosophique, traduction Claude Imbert, édition du seuil, 1971 , p 68.

3 مهران رشوان: مقدمة في المنطق الرمزي، دار الثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة، د.ط، 1978، ص 29.

[4] بشير خليفي: الفلسفة وقضايا اللغة: قراءة في التصور التحليلي، منشورات الاختلاف، الجزائر، ط 1، 2010، ص 52.

ولقد شبه فريجه حاجتنا للغة المثالية بحاجة الإنسان إلى أيد ووسائل صناعية تساعد يداه في القيام بالأعمال التي لا تستطيع اليد الواحدة القيام بها، "فاللغة العادية -كما يقول- تتميز بعدم الاكتفاء، لذلك فنحن بحاجة إلى مجموعة من العلامات، خالصة من كل غموض، والتي تتميز بشكل منطقي صارم يحافظ على المعنى من الانفلات، وهذا ما جعله يقترح لغة مثالية تشترط دراية بعوالم المنطق والرياضيات وتتطلب كفاية وتقدما علميا، فاللغة المثالية هي لغة التفكير الخالص"[1].

ولا ينكر فريجه حاجة باقي العلوم إلى الإيديوغرافيا، إذ يقول "أن العلم لا يمكن أن يتقدم خطوات إلى الأمام دون الاعتماد على الإيديوغرافيا فتقدم هذا الأخير مسبوق بتطورها وتقدمها"[2]، ورغم هذه الأهمية التي تكتسيها الإيديوغرافيا إلا أنها تبقى –كما يرى كلود امبر- تتميز بالصعوبة التي اشتكى من عدم فهمها المتخصصون في الرياضيات ومن ثمة عدم فهم أفكاره التي لم تجد صدى كبيرا أثناء نشرها[3].

وعلى غرار فريجه اقتنع برتراند راسل في مواقفه الأولى بنقائص اللغة العادية مؤكدا على "قدرة المنطق -بفضل صورنة ملائمة-على ضبط العلاقات الأحادية المعنى التي تفرضها الاستعمالات اليومية والعلمية للكلام، فاللغة العادية هي "مصدر الكثير من الصعوبات" لأنها تخفي الصورة المنطقية الحقيقية لعباراتها"[4]، من هذا المنطلق يؤكد راسل على أنه يتوجب على الفلسفة -إن هي أرادات أن تعبّر عن نتائجها بدقة- أن تهتم بوسيلة التعبير من حيث مضامينها، كون أن نقائص اللغة العادية تعتبر أحد العوائق الأساسية في سبيل إحراز تقدم في الفلسفة، الذي لن يكون إلا باللغة المثالية القادرة على الوفاء بمتطلبات التعبير الدقيق عن المفاهيم المؤسسة على دقة التحليل والسعي إلى الوضوح، وعليه فإن نظام الرموز التي وضعها فريج وراسل صالح لأن يستخدم للتعبير عن الفكر، مما يسمح لنا بأن نسمي مثل هذا المجموع المنظم من الرموز باللغة، غير أنه يتمايز ويختلف تمام الاختلاف عن اللغة العادية، ويتمايز عنها بميزتين أساسيتين هما:

الأولى: أن بنية هذا المجموع الداخلية قابلة لأن توصف وصفا كاملا دقيقا.

الثانية: أن وسائل التعبير فيه متناهية ومحددة على وجه الحصر، وعندما نراعي هذه الفوارق فإننا نستطيع أن نسميها من أجل ذلك باللغة الصورية[5].

كما انخرط فتجنشتاين في فلسفة الرسالة ضمن التوجه النقدي للغة، داعيا إلى ضرورة الحذر من النحو ،كون أن اللغة التي نستخدمها في حياتنا اليومية تخفي الفكر ولا تكشف بوضوح عن الصورة المنطقية الحقيقية لعباراتها، لكن فتجنشتين لا يذهب بعيدا في هذا الاتجاه النقدي للغة العادية الذي بدأه فريجه وراسل "فمع أن اللغة العادية هي مصدر الغموض في كثير من الأحيان، ومع أننا نحتاج فعلا إلى لغة رمزية، لكن ليس على نموذج فريج ولا نموذج راسل، كون أنهما نموذجان لم يتمكنا من تفادي كل

---

[1] Frege: la science justifie le recours a une idéographie dans : écrits logique et philosophiques, Op.cit, p 68.
[2] Ben Maklouf Ali : Gottlob Frege : logicien philosophe, PUF, 1ère édition, 1997, p 19.

[3] Claude Imbert : Introduction de : écrits logiques et philosophiques, Op.cit, p 12.

[4] راسل: الفلسفة بنظرة علمية، تلخيص وتقديم زكي نجيب محمود، مكتبة الأنجلومصرية، القاهرة، 1960، ص 207.

[5] بيث E.W. Beth: العلاقات الموجودة بين اللغات الصورية الشكلية وبين اللغات الطبيعية، ترجمة عبد القادر قنيني، إفريقيا الشرق، المغرب، 2000، ص 144.

الأخطاءِ، وهذا ما جعله يميل إلى اعتبار أنه ليس من الضروري اختراع لغة مثالية، فلغتنا العادية حسبه هي صورة منطقية، أما الإيديوغرافيا فليست لغة ولا يمكنها أن تحل محل اللغة، وما هي إلا أداة من أجل البحث عن ماهية التمثيل التي هي حاضرة في كل اللغات، وفي كل رمزية"[1]، وهذا ما أبرز ما اختلف به فتجشنتين عن فريج وراسل.

2: التمييز بين المعنى والدلالة:

دعا فريجه انطلاقا من تحليله لمشكلة علاقة الهوية إلى ضرورة التمييز بين المعنى والدلالة أو الإشارة(*)، مع العلم أنه في الواقع ليس لفريجه نظرية في المعنى -بالمعنى الدقيق للكلمة- كونه اعتبر أن فكرة المعنى ليست محتاجة لتوضيح وإنما يجب أن نصادر على وضوحها، بل يفترض أنّ لكل تعبير معنى، إذا كان له تركيب نحوي ،"لذلك فإنه لم يبحث في معنى المعنى بل سلم به تسليما منذ البدءِ، وعلى الرغم من أنه لم ينشئ نظرية في المعرفة، فإنه اهتم به وأعطانا تحليلات منطقية بالغة الفائدة في هذا الموضوع، وهذه التحليلات في مقاله المعروف Sens et reference عام 1892"[2].

وتجدر الإشارة إلى أن نظرية فريجه نظرية منطقية يقيم عليها موقفه اللوجستيقي في رد التصورات الأساسية لعلم الحساب إلى تصورات منطقية خاصة، وهذه النظرية -كما يذهب إلى ذلك فهمي زيدان- "لا ترتبط بالمنطق كنسق رمزي استنباطي، وإنما تكشف عن مواقف جديدة في النظر إلى الأسماءِ والجمل الاسمية والوصفية والقضايا"[3]، لهذا فإن هذا التمييز يكون بين معنى الاسم وإشارته وبين معنى القضية وما تشير إليه.

وفي الحقيقة إن تمييز فريجه بين المعنى والدلالة يحيلنا مباشرة إلى النظرية الإشارية التي تركز على العلاقة بين الرمز وبين ما يحيل إليه من أشياءِ في الواقع، كما تركز على الوظيفة الإشارية للغة كونها "مرادفة للوظيفة المعرفية، فإشارة الوحدة اللغوية هي ماصدق التصور الذي يمثل مدلول تلك الوحدة اللغوية، وهي أيضا الوظيفة التي بواسطتها يحيل الرمز اللغوي إلى شيءٍ غير لغوي وخيالي"[4]، ولما كان موضوع التواصل اللغوي يتعلق أحيانا بالحقيقة اللسانية المفهومة من مراحل السياق الخارجية "كان على المتكلمين -كما يقول- أزولد وتزيفان في مقاله "الدلالة والمرجع"، أن يكونوا قادرين

---

[1] جمال حمود: فلسفة اللغة عند لودفيج فتجنشتين، ، منشورات الاختلاف، الجزائر، ط1، 2009. ص 15.

(*) عرض فريج نظريته في المعنى والإشارة في مقال بعنوان Sinn and bedetung، والذي ترجم إلى الإنجليزية بـ"المعنى والدلالة On sense and meaning" وترجم إلى الفرنسية بـ"المعنى والإشارة Sens et dénotation" وإلى العربية بـ"المعنى والدلالة" و"المعنى والإشارة".

انظر: جمال حمود: المنعطف اللغوي في الفلسفة المعاصرة، برتراند راسل نموذجا: منشورات الاختلاف، الجزائر، ط 1، 2011.ص 156.

[2] فهمي زيدان: في فلسفة اللغة، دار النهضة العربية، بيروت، 1985.ص 114.

[3] فهمي زيدان: المنطق الرمزي، المنطق الرمزي نشأته وتطوره، دار النهضة العربية، بيروت، 1979 ، ص ص 157-158.

[4] Jean Dubois et autres : Dictionnaire de linguistique, , , librairie Larousse, 1er ed, 1973.pp 139-141.

على تعيين الأشياءِ والأمور التي تكوّنها تلك الحقيقة، وهذه هي الوظيفة المرجعية للغة"[1]، فكل شيءٍ تشير إليه عبارة ما يكون دوما مرجعها أو إشارتها sa dénotation.

بعد تحليله لعلاقة الهوية توصل فريج إلى أن هذه الأخيرة علاقة بين رموز تدل على أشياءٍ وليس علاقة بين أشياءٍ، ما جعله يفصل بين معاني هذه الرموز والأشياءِ التي تشير إليها "فإشارة العبارة اللغوية هي الشيءِ المشار إليه بواسطة تلك العبارة، أما معناها فإنه يُفهم من قبل كل شخص يألف اللغة بشكل كاف"[2]. فنحن عادة ما نتحدث عن الشيءِ الواحد بمعان مختلفة، أو حسب اصطلاح فريج بطرائق عرض "Modes de présentation" مختلفة، ولهذا فإن الإشارة أو الاستخدام الإشاري للغة لم يعد المصدر الوحيد للدلالة، بل القدرة على استخدام اللغة استخداما صحيحا. ويوضح فريج العلاقة بين الرموز ومعانيها قائلا: "إن العلاقة الثابتة بين الرمز ومعناه هي من الانتظام بحيث أن كل رمز يقابله معنى معين، وكل معنى يقابله مرجع معرف ومحدد، بينما [على العكس من ذلك] يكون مرجع واحد (شيءٍ واحد مشار إليه) له ما شئت من الرموز، وعلاوة على ذلك فإن معنى واحد قد تكون له في لغات كثيرة وأحيانا في لغة واحدة عبارات متعددة"[3].

وانطلاقا من هذه العلاقة الموجودة في نظام تام من الرموز أو في الإيديوغرافيا، وجب أن يقابل كل معنى محدد عبارة واحدة خاصة، وهذا الشرط غير متوفر تماما في اللغة العادية، وبما أنه يدعو إلى إقامة لغة مثالية دقيقة، فإنه يفترض أن يكون لكل كلمة أو تعبير معنى محدد دقيق في هذه اللغة، لهذا "فإن معنى عبارة ما هو مرجعها، ومرجع الاسم هو الشيءِ المعين"[4].

3ـ العلاقة بين المعنى والمرجع:

يرى فريج أن المعنى يختلف اختلافا كليا عن المرجع أو الإشارة، بحيث أنه من الممكن أن يشير تعبيران لغويان إلى الموضوع نفسه ويكون لكل منهما معنى مختلف،"كما يمكن للتعبير اللغوي أن يكون له معنى دون أن يكون هناك موجود فعلي يحدده هذا التعبير، ويمكن للتعبير اللغوي كذلك أن لا يعيّن موجودا فعليا، ومتى عيّن تعبيران لغويان موضوعا واحدا بعينه، كالتعبيرين النجم الصباحي والنجم المسائي، نقول أن للتعبيرين إشارة واحدة، ومعنيين مختلفين"[5].

وفي الحقيقة إن تمييز فريج بين المعنى والإشارة أعاد إيجاد عديد المشكلات المختلفة والمهمة والتي تخص مثلا العلاقة بين اللغة والمعرفة من جهة، وبين اللغة والحقيقة من جهة أخرى، وبهذا يكون فريج قد حدد وظائف متعددة للمعنى: فمعنى عبارة ما دوره تحديد مرجعها. وهنا تتجلى

---

[1] أزولد وتزيفان وآخرون: المرجع والدلالة في الفكر اللساني الحديث، ترجمة عبد القادر قنيني، إفريقيا الشرق، الدار البيضاءِ، المغرب، 2000، ص 23.

[2] Frege : Sens et dénotation in écrits logiques et philosophiques, Op.cit, p 104.

[3] Ibidem.

[4] Diego Marconi : La philosophie du langage au XX^{ème} siècle, Op.cit, p 22.

[5] بهاءِ درويش : فلسفة اللغة عند دونالد دافيدسون، منشأة المعارف، الإسكندرية، 2000، ص 15.

لنا علاقة اللغة بالواقع، كما أن معنى عبارة ما يختص بالفكرة التي تعبّر عنها هذه العبارة وهنا تظهر لنا علاقة اللغة بالفكر[1].

وفي إطار تمييزه بين المعنى والإشارة، يفرق فريج بين التمثل وبين المعنى والمرجع قائلا: "يجب أن يتميز التمثل المرتبط برمز مخالف عن المرجع المشار إليه، وعن معنى هذا الرمز، فإن دلّ ذلك الرمز على شيءٍ مدرك بالحواس، فإن تمثلي له يكون عبارة عن صورة داخلية تنشأ عن ذكر الآثار والانطباعات الحسية، وعن أفعال خارجية وداخلية بفضلها أستطيع أن أمارس وأن أقوم بتلك الأفعال والعمليات. ومثل هذه الفكرة تكون مشبعة بالإحساسات، ويصير تميز هذه الأجزاءِ المختلفة للإحساسات متغيرا، وفصل بعضها عن بعض يكون متأرجحا حتى عند الفرد الواحد، لا يكون نفسه التمثل مرتبطا على الدوام بنفس المعنى، إذ أن التمثل ذاتي، فتمثل أحدنا ليس هو تمثل غيرنا، ومن الطبيعي جدا أن تكون التمثلات المرتبطة بمعنى أحدنا متباينة أشد التباين فيما بينها"[2].

وانطلاقا من هذا التمييز الذي أقامه بين المعنى والدلالة، يكون فريج قد صاغ أول نظرية سيمانطيقية في نهاية القرن التاسع عشر، حاولت الإجابة عن مشكلة دلالة الألفاظ والتراكيب السليمة للغة، ورغم أن فريج لم يصرّح بأنه يسعى إلى تأسيس نظرية في الدلالة، إلا أن دوميت بيّن أن هناك مظهرين أساسيين يثبتان وجودها يتمثل الأول: في أن فريج أهدى نظرية في المعنى أين يكون فيها مرجع عبارة قيمة ما صدقها، ويتمثل الثاني في فهم وشرح العلاقة الموجودة بين الكلمة والواقع أو المرجع[3]، وبذلك يكون فريج قد فصل نهائيا الدلالة المنطقية عن الدلالة اللغوية[4] أين يكون الاهتمام فيها متعلقا بقيمة صدق القضايا وعلاقتها بالحقيقة خارج إطار اللغة والنحو.

4ـ الدلالة وقيمة الصدق:

لقد ربط فريجه مرجع القضية بقيمة الصدق، فالمرجع هو الذي يجعل القضية صادقة أو كاذبة، إذ يقول: "إن البحث عن الصدق هو الذي يقودنا دائما إلى التقدم من المعنى إلى الإشارة"[5]، وبهذا التوحيد بين القضية والصدق، يظهر الارتباط الوثيق بين فلسفة اللغة والمنطق من جهة، وبين فلسفة اللغة ونظرية المعرفة من جهة ثانية.

وترتبط القضية بقيمة الصدق من ناحيتين: الأولى أن القضية دالة مكتملة وأن قيمة الدالة قيمة صدق، والثانية أن في القضيتين عنصرين أساسيين هما: المحتوى والتقرير، فالمحتوى هو ما يحتمل الصدق والكذب، ومن ثم حين نقول: إن القضية تشير إلى قيمة صدق فإننا نعني أن محتواها ينبغي أن يكون صادقا أو كاذبا، وتتألف قيمة صدق قضية ما عن قيمة صدق كل جزءٍ من أجزائها ومن ثمة فإن مرجع

---

[1] Lynda Maurice : La question du rapport entre le sens et la référence dans la philosophie du langage : thèse de philosophie, pour obtenir la grade de docteur en philosophie, université Jean Moulin, Lyon III, 2007, p 16.

[2] Frege : Sens et dénotation, Op.cit, p 105.

[3] Wolfgang Carl : Frege's theory of sense and reference,its origin and scope : Cambridge university press, M.S.A, 1994, p 02.

[4] Encyclopédie universalis, corpus 09, , France, 1993 Op.cit, p 953.

[5] Frege : Sens et dénotation, Op.cit, p 122.

القضية يتألف من إشارة ومرجع كل حد من حدودها، فللحدود إشارات أو قيم صدق إن هي أشارت إلى أشياءٍ واقعية[1].

واعتبر فريجه أن قيم الصدق والكذب قيم موضوعية مستقلة عن عالم الإنسان والأشياءِ المادية، وتقوم في العالم الثالث -عالم المعاني- ما يجعلها كذلك قيما ثابتة لا تتغيّر بتغير أجزاءِ القضايا أو حدودها. لهذا اعتبر فريجه أنه مادامت القضية صادقة أو كاذبة فإنها بلا شك تشير إلى شيءٍ واقعي، لذا يجب أن ننظر إليها على أنها اسم علم، في حين أن القضايا التي يتعذر علينا الحكم عليها بالصدق والكذب مثل القضايا التي تحتوي على أسماءِ الأعلام الخرافية والقضايا الوجودية والتي يكون موضوعها اسم علم فإنه لا يجب مطلقا استخدامها في لغة منطقية كاملة.

ولكي يضمن فريجه موضوعية وثبات المعاني وكذا قيم الصدق واستقلالها فإنه يقترح جملة من المبادئ الأساسية التي ستحافظ على هذه الخصائص وتتمثل فهذه المبادئ في مبدأ التعويض والقابلية للاستدلال Le principe de substitution، ومبدأ التركيب Le principe de compositionnalité، وأخيرا مبدأ السياق Le principe du contextualité.

ويعتبر مبدأ السياق من أهم المبادئ في فلسفة فريجه، إذ يقول في مقدمة كتابه أسس علم الحساب: "لا تسأل مطلقا عن معنى كلمة بمعزل عن غيرها، ولكن فقط بالنظر إلى سياق القضية التي وردت فيها هذه الكلمة"[2]، وذلك تفاديا للذاتية والوقوع في اللبس والغموض، وطلبا لموضوعية المعنى والمرجع من جهة، والدقة من جهة أخرى.

لقد نادى فريجه "بأن لا نعرف أي رمز أو حدّ بأكثر من تعريف، لأن وجود تعريفات مختلفة أو متباينة المعنى لرمز واحد يوقعنا في لبس وغموض، فقد يحمل الرمز تعريفا في سياق معين ويحمل تعريفا آخر في سياق مختلف عن الأول فلا يحقق للنسق اتساقا، ولن نستطيع بذلك أن نصل إلى ما ينشده فريج، وهو ما يطلق عليه مبدأ غاية الكمال"[3]. وقد نصحنا فريجه بتوظيف هذا المبدأ تجنبا لبناءِ المعرفة على أساس التصورات والانطباعات الحسية.

لهذا كان لهذا المبدأ أهمية خاصة في فلسفة فريجه حيث يعد أداة ابستيمولوجية هامة يستخدمها للتمييز بين الأفكار والصور والتمثلات الحسية للفردية، متعاليا بذلك عن الوقوع في الذاتية والنفسانية والفردية التي تفقد المعرفة طابعها الموضوعي.

ولأن فريجه كان يهدف إلى إقصاءِ النزعة النفسية من مجال المنطق والرياضيات، فإن مبدأ السياق يعتبر وسيلة هامة في تحقيق هذا الهدف، ويتجلى ذلك من خلال المقطع التالي لفريجه "كيف

---

[1], Frege : Sens et dénotation, p 123.

2, Frege : The foundations of arithmetic, traduction et introduction de Claude Imbert, editions de seuil, Paris, 1969. , p 05

.

[3] محمد محمد قاسم:جوتلوب فريج: نظرية الأعداد بين الابستيمولوجيا والأنطولوجيا، دار المعارف الجامعية، الإسكندرية، 1991 مرجع سابق، ص 56.

يمكن إذن أن تقدّم لنا الأعداد ونتعرّف عليها، إذا لم نكن نمتلك أي أفكار أو حدوس بشأنها؟ إنه فقط في سياق القضية تكتسب الكلمة معناها، فلنبحث إذن عن معنى القضية التي تحتوي كلمات تشير إلى الأعداد"[1]، فإذا لم يكن لدينا معرفة مباشرة بالأعداد في ذاتها،فإننا بالأحرى نمتلك معرفة بقضايا عنها، فإنه بتطبيق مبدأ السياق فقط يمكن أن نفهم معاني الكلمات التي تشير إلى الأعداد[2].

وبما أن الكلمات لا تمتلك مرجعا إلا في سياق القضية التي ترد فيها، فإن استخدام مبدأ "السياق" استخدام منهجي بالدرجة الأولى[3] ،لأنه جاءِ لتفادي تدخل التمثلات والانطباعات الحسية في فهم المعنى وتحديد المرجع من جهة، وليؤكد على الطابع الموضوعي للأعداد، فالأعداد في نظر فريج ليست مفهوما أو خاصية وإنما موضوعات منطقية.

ولقد تأثر فلاسفة اللغة الذين جاءوا بعده بمبدإ السياق، خاصة فتجنشتاين، ويظهر هذا التأثر في اعتباره هذا الأخير مبدأ السياق يلعب دورا كبيرا في تحديد الرموز اللغوية، وسواءِ في الرسالة أو في الأبحاث الفلسفية فإن فهم أي قضية يرتكز دوما على فهم دلالة الكلمات في استعمالها إذ يقول: "إنه في سياق القضية فقط، تأخذ الكلمة معناها"[4]، ولقد طور فتجنشتاين مبدأ السياق بدءا من القضية إلى حساب القضايا وصولا إلى ألعاب اللغة، إذ يقول: "دع استعمال الكلمات يعلّمك معناها"[5]، فتكون اللغة حسبه ليست حسابا منطقيا دقيقا لكل كلمة معنى محدد ولكل جملة معنى محدد، ولكل الجمل وظيفة واحدة، وإنما تتعدد معاني الكلمة بتعدد استخداماتنا لها في اللغة العادية، وتتعدد معاني الجملة الواحدة حسب السياق الذي تذكر فيه، وإنه بين تعدد الاستخدامات للكلمة والجملة "تشابها أسريا"، وأن الكلمة مطاطة تتسع وتضيق استخداماتها حسب الظروف والحاجات[6] فيكون معنى الكلمة ليس غير طريقة أو طرق استخدام الناس لها في حياتهم اليومية.

ولقد كان لآراءِ فريجه في نظرية الصدق تأثير كبير على الفلسفة التحليلية وعلى الوضعية المنطقية "فالعبارة التي لا ترسم لنا صورة تستعين بها في المطابقة بين ما تزعمه، وبين ما هو في الطبيعة لا يكون لها معنى على الإطلاق"[7]. فمعنى القضية وكيفية إثبات صدقها شيءِ واحد، فما يستحيل علينا أن نثبت صدقه من القضايا لا يكون ذا معنى على الإطلاق، فإذا سألنا عن معنى عبارة ما كان سؤالنا معناه: كيف يمكن أن نحقق هذه العبارة؟ أي ما نوع الحاضرات الحسية التي نتقبلها من الخارج لو كانت العبارة صادقة؟

نلاحظ أن نظرية فريجا في المعنى لها دور هام في البحث الدلالي، ويتجلى لنا هذا الدور في وجهتين أساسيتين: الأولى الوظيفة الابستيمولوجية أين يمثل المعنى المضمون الفكري للقضية والذي

---

[1] Frege : The foundation of arithmetic, Op.cit, p 05.

[2] Linnebo Quystein : Compositionality and Frege's context principle, journal of formal logic, university of Bristol, N° 02, pp 4-5.

[3] Charlotte Gaurry : Principe de contexte et circonstances de Frege à Wittgenstein, implications philosophiques, 2011, p 03.

[4] Wittgenstein : Tractatus logico-philosophions, op cit, §3/3.

[5] Wittgenstein : Philosophical investigations, trans by G.E. Anscombe, Oxford, Basil blac kwell, p 220.

[6] فهمي زيدان: في فلسفة اللغة، مرجع سابق، ص 106.

[7] زكي نجيب محمود: المنطق الوضعي، ج1، مرجع سابق، ص 37.

يرتبط بقيم الصدق للقضية، والوجهة الثانية تتمثل في الوظيفة الدلالية أين يحدد المعنى مرجع أسماءِ الأعلام والقضايا والذي يمثل في ذاته شروط صدقها أو كذبها.

ثانيا: إسقاطات نظرية الدلالة على فلسفة اللغة عند فيتجنشتاين :

تعتبر الفلسفة التحليلية بمثابة ثورة فلسفية طبعت الفكر الفلسفي المعاصر، كونها حوّلت مجال الاهتمام الفلسفي إلى تحليل اللغة التي تقوم عليها الأنساق المعرفية وكذا العلمية، بإقرارها أن الوظيفة المثلى للفلسفة مرتبطة بتحليل اللغة كونها الأداة الوحيدة التي تسهّل لنا مهمة استقصاءِ العلاقة التي تحدث في العالم وبين ما يحدث في أذهاننا.

ولقد حظي البحث الدلالي باهتمام كبير من قبل فلاسفة التحليل المعاصر بأهمية خاصة، وتتجلى هذه الأهمية في التركيز على الوظيفة المرجعية أو الإشارية للغة، كون أن اللغة تحمل معانيها وتكتسيها من كونها تشير إلى أشياءِ خارج ذاتها؛ أي خارج الإطار اللغوي "Extralinguistique" ولقد سلطت النظرية الإشارية لفريج الضوءِ على هذه الأهمية، مما جعل فلاسفة التحليل أول الغارفين من منهل هذه النظرية.

وإذا كان العديد من المؤرخين والمفكرين يعيدون بدايات هذا الاتجاه إلى جورج مور، الذي اعتبر التحليل منهج البحث الفلسفي، من خلال ربطه بفلسفة الإدراك العام وباستخدام اللغة العادية[1]، فإن العديد من المفكرين اعتبروا أن الخيوط الأصيلة لهذه الفلسفة تعود إلى فريج، وذلك من خلال إعادة بنائه لمفاهيم الحساب والرياضيات بناءِ منطقيا وهذا لن يتم إلا بالتركيز على اللغة، إضافة إلى رفضه للنزعة النفسانية وإبعاد الذاتية عن الوعي مما سمح بميلاد فلسفة تحليلية قائمة على تحليل الفكر بواسطة اللغة، فكان فريج إذن قد حفر دون وعي منه أسس الفلسفة التحليلية.

لقد كانت العناية باللغة الموضوع الأساسي لهذه الفلسفة وإن تنوعت مدارسها واختلفت نظرياتها، وذلك باستخدام أدوات منطقية وطرائق دقيقة قائمة على المنطق وعلى العلمية، وهذا تقليد يمثله فريجه وراسل وفتجنشتاين وحتى مور، فالسؤال الذي يطرح نفسه: كيف أثر فريجه ونظريته الدلالية في تجسيد أسس صرح الفلسفة التحليلية عموما وفلسفة فيتجنشتاين بالتحديد ؟

يعتبر لودفيج جوزيف يوهان فتجنشتاين من أشهر الأسماءِ التي ظهرت في سماءِ الفكر الإنساني وبخاصة الفلسفي وبالخصوص في مجالي المنطق وفلسفة اللغة في القرن العشرين، ولقد تعمقت الفلسفة التحليلية بأعماله،إذ يعد من أبرز فلاسفة اللغة الذين أثروا في مسار الفكر الفلسفي واللغوي، إذ أضفى على فلسفة اللغة لونا منطقيا محكما، من خلال جعل اللغة تخضع لقوانين منطقية تعصم الفكر من الزلل.

وفي الحقيقة إن أهمية فتجنشتاين تكمن في كونه المرآة التي انعكست فيها جميع أهداف الحركة التحليلية ونتائجها، ومن هنا كان الوجه المعبّر عن الفكر المعاصر بكل ما فيه من قلق وارتباك وأزمات عبّرت عنها أعماله وأفكاره من خلال اهتمامه باللغة وتحليلها وترجمة جميع المشكلات الفلسفية

[1] فهمي زيدان: مناهج البحث الفلسفي، دار الوفاءِ لدنيا الطباعة والنشر، الإسكندرية، ط 1، 2004، ص 119.

إلى حدود وقضايا لغوية، فالعالم لا يتكشف إلا عن طريق اللغة، فبواسطة الكلمة يحقق الإنسان ترابط أفكاره وانسجام ذاته، كما يكشف عن عالمه الداخلي لنفسه وللآخرين.

ولعل اهتمام فتجنشتين بفلسفة اللغة يجعلنا نبحث عن مظاهر تقاطع فلسفة فريج ونظريته في الإشارة، كون أن فريجه هو من أهم فلاسفة التحليل -بما فيهم فتجنشتاين-الذين تأثروا بمنهج التحليل المنطقي وأدواته.

وفي الحقيقة يعترف فتجنشتاين في مؤلفاته أن من أهم مصادر فكره الذي ساهم في تغذية مساره الفلسفي أعمال فريجه وأفكاره، إذ يقول "لم أبتدع أبدا مسار تفكيري، بل كان غيري دائما هو الذي يزوّدني به، كل ما قمت به هو الاستيلاءِ عليه مباشرة بشغف من أجل عملي التمحيصي، وهكذا أثر فيّ كل من بلتزمن، وهرتز وفريجه..."[1]، ولقد ركز فتجنشتاين على أعمال كل من راسل وفريجه اللذين يعتبران من أحدث المنعطف اللغوي في حياته، ويتجلى هذا التأثير في أنهما لفتا انتباهه إلى الاهتمام بالمفاهيم المنطقية الأساسية، وطبيعة التأثير هذه، إنما تكمن أهميتها الحقيقية في أنها أوجدت لدى فتجنشتين نقطة الانطلاق نحو الاهتمام بالمشكلات التي تشكل فلسفة اللغة[2]، وهو المحور الأساسي الذي تقوم عليه الفلسفة التحليلية وإن اختلفت اتجاهاتها وتشعبت حدودها.

ولقد كان فتجنشتاين حريصا على أخذ آراءِ فريجه حول كتابه الرسالة إذ كتب قائلا: "لقد أرسلت أيضا مخطوطي(*) لفريجه، لقد كتب من أسبوع، ولقد فهمت أنه لم يستطع أن يفهم منه كلمة"[3].

وفي الحقيقة أن المطلع على مؤلفات فتجنشتاين يكتشف أنها جاءِت نتاجا لممارسة نقدية من جهة إلى بعض النظريات والأفكار الفلسفية والمنطقية عند كل من راسل وفريج خاصة فيما تعلق بنظرية الدلالة والمعنى وما نتج عنها من مواقف حول اللغة العادية وعلاقة الهوية وكذا مبدأ السياقية، ولقد اعترف فتجنشتين بمهارة فريجه وقدرته على تحليل المشكلات الفلسفية بأسلوب منطقي دقيق كان له عظيم الأثر في أفكاره وحتى في طريقته لمعالجة قضايا اللغة[4]، ولعل هذا التأثر هو ما جعل دوميت يعتبر كتاب الرسالة لفتجنشتين يحوي ولاءً كبيرا لأفكار فريج أكثر من تأثره بآراءِ راسل[5].

وفي الحقيقة أن تأثير فريجه وراسل على فتجنشتاين تجسّد في الحضور المكثف لأفكارهما خاصة في الدفاتر وفي الرسالة، وما يدل على العلاقة القوية بينه وبين فريجه وراسل هو أنه ذكر فريج تسع مرات في الدفاتر، وثلاثين مرّة في الرسالة، لكن الأهمّ من هذا هو اعتراف فتجنشتاين في مقدمة

---

[1] مليكة ولباني: ماذا يعني مصطلح تحليلي؟ مجلة أيس فضاءِ العقل والحرية، العدد 02، دار الصحافة، القبة، الجزائر، ص 11.

[2] جمال حمود: فلسفة اللغة عند لودفيج فتجنشتين، مرجع سابق ، ص ص 12-13.

(*) يقصد به مخطوط الرسالة.

[3] نقلا عن المرجع السابق، ص 26.

[4] Mc Doungh : A note on Frege's and Russell's influence on Wittgenstein's tractatus, University Of Zulsa, U.S.A, p 04.

5 Dumett : Frege, philosophy of language, publications data Great Britain, 2nd edition, 1981. Op.cit, p 62.

الرسالة إذ يقول: "أنا لا أشير إلا إلى مؤلفات فريج العظيمة، التي أنا مدين لها، كما أنا مدين لكتابات صديقي، برتراند راسل من حيث استثارة أفكاري هذه"[1].

إن استفادة فتجنشتاين من فريجه في العديد من أفكار هذا الأخير وخاصة في رفضه للنزعة اللسانية وتأكيده على الاعتبارات الابستمولوجية للمنطق، وفي صياغته لمبدأ السياق، وكذا لتمييزه بين المعنى والدلالة[2]، ولقد طور فتجنشتاين هذه الأفكار في جميع مؤلفاته ومواقفه الفلسفية والتي كانت إما تأكيدا أو نقدا أو تكملة لآراءِ فريجه وهذا ما جعل دوميت يعتبره محظوظا لإطلاعه على هذا الإرث الفريجي[3].

كما يتجلى لنا تأثير فريجه على فتجنشتاين في لفت انتباهه إلى أهمية المنطق وضرورة الاهتمام بالمفاهيم المنطقية الأساسية في تحليل اللغة وأن مصدر الغموض والخلل في المشكلات الفلسفية يعود إلى كون اللغة المستخدمة ليست محكومة بقوانين المنطق، وكانت هذه الدعوة نقطة الانطلاق في تشييد فلسفة اللغة عند فتجنشتين، بالاعتماد على التحليل المنطقي الذي يستخدم لغة المنطق الحديث في تحليل قضايا اللغة بهدف الكشف عن طبيعة الرموز في تلك القضايا، وطبيعة الدلالة فيها، وهو ما جعله يرد الفلسفة بأكملها إلى إجراءِ منطقي لتحليل اللغة ،إذ يقول: "إن موضوع الفلسفة هو التوضيح المنطقي للأفكار"[4]، وكون أن اللغة هي مصدر كل الأخطاءِ الفلسفية نفسها، فإن وقوع الفلسفة في الخطأ راجع في نظره إلى سوءِ استخدام اللغة، لذا فإن مهمة الفيلسوف حسبه تكمن في توضيح القضايا الفلسفية بكل دقة وإلا ظلت هذه الأفكار والقضايا في نظره معتمة ومبهمة، فتصبح الفلسفة فعلا، لا مذهبا أو نظرية من النظريات، بل نشاطا وفعالية من خلالها يتضح معنى العبارات "لأن كل ما يمكن التفكير فيه على الإطلاق، -كما يقول- يمكن التفكير فيه بوضوح، وكل ما يمكن أن يقال يمكن قوله بوضوح". الرسالة 91

ويمكن تقسيم فلسفة فتجنشتاين إلى مرحلتين أساسيتين: تمثلت الأولى في الفلسفة التي وسمت كتابه الأساسي: رسالة منطقية فلسفية Tractatus logico-philosophicus عام 1921[5]،والتي كانت ذات تأثير واسع النطاق على الفكر الفلسفي، ويقوم الغرض الأساسي للرسالة في نقد اللغة وتحليلها، إذ نجده يضع الوجود الخارجي ككل بما فيه اللغة تحت مجهر التحليل المنطقي ليقف على المكونات النهائية التي يرتد إليها تحليلنا للعالم[6]، خاصة وأن التحليل هو السمة البارزة في فلسفته كمنهج

---

[1] جمال حمود: فلسفة اللغة عند لودفيج فتجنشتين، مرجع سابق، ص 48.

[2] Erick. H. Reck : From Frege to Wittgenstein, perspective on early analytic philosophy, Oxford university, 2002, p 01.

[3] Dumett : Frege and other philosophers, Clarendon press, Oxford, 1991, p 237.

[4] لودفيج فتجنشتين: رسالة منطقية فلسفية، ترجمة، عزمي إسلام، تقديم زكي نجيب محمود، مكتبة الأنجلومصرية، القاهرة، 1968. ، فقرة 4,116.

[5] فهمي زيدان: في فلسفة اللغة، مرجع سابق، ص 120.

[6] عزمي إسلام: نوابغ الفكر الفلسفي، لودفيج فتجنشتين، دار المعارف، مصر، ص 75.

لا كفاية إذ يقول: "إن الفلسفة كلّها عبارة عن نقد للغة"[1] ،ويقول أيضا: "إن حدود لغتي تعني حدود عالمي"[2].

يتبنى فتجنشتاين في هذه المرحلة فلسفة النظرية الذرية المنطقية: إذ يذهب فتجنشتاين إلى أن العالم ينقسم إلى وقائع، وكل واقعة تنقسم هي الأخرى إلى وقائع أبسط حتى تبلغ وقائع ذرية لا تتجزأ، فالواقعة الذرية تعبّر عن الكيفية التي تترابط بها الأشياءِ وتتركب، لذا فإن طريقة ائتلافها تمثل بنية الواقعة الذرية أو صورتها، واللغة بدورها قضايا، والقضية تستند إلى قضايا ذرية أبسط تتكون من أسماءٍ هي عبارة عن رموز بسيطة، ولقد بيّن فتجنشتين أن مهمة الفلسفة أن تبين لنا أن كل قضية ما هي إلا صورة للواقع أو تصوير له، لذا عرفت هذه المرحلة من حياته بمرحلة نظرية الصورة، واللغة ما هي إلا تصوير -أو بعبارة أخرى- هي رسم للعالم، وهنا يتجلى النشاط التحليلي والتوضيحي للفلسفة[3]، وينتج عن هذا التحليل أن القضايا الوحيدة التي لها معنى هي قضايا العلوم الطبيعية وأن عبارات الميتافيزيقا وعبارات الأخلاق بل وعبارات الجمال وعبارات الرسالة نفسها، كما يقول عزمي إسلام -في تقديمه للرسالة- مما لا يمكن قوله وإنما يمكن أن يظهر أو يتجلى بنفسه[4]، وإذا كانت حدود لغتي هي حدود العالم- كما يقول فتجنشتاين- فإن العلاقة بين اللغة والعالم هي كالعلاقة بين الرسم والصورة التي نريد رسمها، ولهذا يترتب صدق أو كذب الوحدات الأولية للغة على وجود أو عدم وجود وحدات العالم الأولية أو مطابقتها أو عدم مطابقتها لها، ومن مجموع الصور اللغوية يتكون العلم ومن مجموع الوقائع يتكون العالم.

لكن سرعان ما تحوّل فتجنشتاين في الثلاثينات إلى اتجاه فلسفي جديد في كتابه "البحوث الفلسفية Logical investigations" تغيرت من خلاله نظرته إلى مهمة الفلسفة وعمل الفيلسوف بل وحتى طبيعة اللغة والعلاقة بينها وبين الواقع، وإن كان هذا الكتاب يتوخى الهدف نفسه من الرسالة: فهو يتابع تحليل اللغة وفكرة المعنى، ويجعل من الفلسفة معركة ضد البلبلة التي تحدث في عقولنا نتيجة لاستخدام اللغة استخداما خاطئا، وضد السحر الذي تفتن به اللغة عقولنا إذ أصبحت مهمة اللغة ليست تصويرا للواقع بل هي مجموعة أنشطة اجتماعية وكل نشاط يخدم غرضا مختلفا عن الآخر، هذه الأنواع والأنشطة المختلفة تكوّن ما سماها فتجنشتين بلعبة اللغة language game.

لقد نظر فتجنشتاين إلى الفلسفة في هذه المرحلة باعتبارها نشاطا علميا وليس نظريا، فتصبح اللغة بذلك نشاطا قائما على التحليل العلمي للغة، لذا فإن اللغة المثالية التي كان يطمح إليها في الرسالة مستحيلة، مما يستوجب العودة إلى اللغة العادية والبحث في طبيعتها ووظائفها، كونها تتميز بأنها فضفاضة مرنة وصالحة لكل عمل فلسفي، وتغيرت مهمة الفيلسوف كما كانت عليه، حيث اعتبره

---

[1] لودفيج فتجنشتين: رسالة منطقية فلسفية، مصدر سابق، فقرة 4,0031.

[2] المصدر نفسه، فقرة 5،6.

[3] الزواوي بغورة: الفلسفة واللغة ، نقد المنعطف اللغوي في الفلسفة المعاصرة، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، ط 1، 2005.. ص 91

[4] لودفيج فتجنشتين: رسالة منطقية فلسفية، تقديم عزمي إسلام، ص 21.

فتجنشتين معالجا نفسيا للمشكلات الفلسفية، والمرضى هم الفلاسفة، ومرضهم هو القلق والحيرة والمأزق التي يكابدونها[1]، وجميع المشكلات الفلسفية تعود فقط إلى سوءِ استخدام اللغة العادية وتجاهلها.

إلا أنه رغم اختلاف المرحلتين في فلسفة فتجنشتين يبقى التحليل المنطقي للغة الهدف الأساسي له، بحثا عن الوضوح وعن حلول للمشكلات الفلسفية فنشأت بذلك نظريتان متمايزتان تمام التمايز و الاختلاف في المعنى: النظرية التصويرية في الرسالة، ونظرية الاستعمال في البحوث.

1ـ المعنى في النظرية التصويرية The picture Theory of language :

يذهب فيتجنشتين في هذه النظرية أن اللغة تتألف من مجموعة قضايا، والقضايا تنحل إلى مجموعة قضايا ذرية أو أولية، كما أن العالم يتألف من وقائع تقبل التحليل بدورها إلى قضايا بسيطة، بحيث تكون الصور المنطقية للقضايا الذرية دليلا جيدا لفهم الصور المنطقية للوقائع المقابلة لها، حتى نصل في نهاية التحليل إلى الكشف عما هو مشترك بين القضية البسيطة والواقعة البسيطة المقابلة لها ألا وهي الصورة المنطقية[2] ،إذن فالفكر الذي تحمله القضايا يمثل هذه الوقائع، ونستطيع إذن تحليل أفكارنا وقضايانا كي نبين صورتها المنطقية الحقيقية، وما لا نستطيع تحليله على هذا النحو لن يكون له معنى يستحق أن نتحدث عنه، وبالنسبة لفتجنشتين إن الفلسفة ليست شيئا أكثر من هذه الطريقة في التحليل[3].

ويترتب عن هذا الربط المنطقي بين اللغة والواقع والفكر أن صدق أو كذب القضية الأولية يعود إلى وجود الواقعية الذرية، يتم ذلك بالمقارنة بين القضية وبين الواقع الخارجي، أين تكون القضية الأولية بمثابة رسم للواقعة الذرية، كما أن وجود الوقائع الذرية أو عدم وجودها يثبت صدق القضية وكذبها، يقول: "إذا كانت القضية الأولية صادقة كانت الواقعة الذرية (حالة الأشياءِ) موجودة، وإذا كانت القضية الأولية كاذبة، لم يكن للواقعة الذرية وجود"[4]، وبذلك تكون قيمة الصدق المحددة للعلاقة بين القضية الأولية والواقعة الذرية هي المحددة لمعنى القضية والواقعة في آن واحد.

وبهذا تقوم أنطولوجيا الرسالة على الإيمان بكثرة من الأشياءِ البسيطة التي توجد فقط في شكل وقائع بسيطة، هذه الأنطولوجيا يتم تمثيلها بوضوح من لغة تتألف من قضايا تقبل التحليل إلى قضايا بسيطة تتألف من أسماءِ بسيطة تدل على أشياءِ إلا من خلال تلك القضايا البسيطة، التي تكون رسما أو تصويرا لها، وهو ما أدى إلى نشوءِ النظرية التصويرية التي تنص "أن شرط حمل اللغة للمعنى بوصفها جملة قضايا مكوّنة من قضايا أولية مرتبط بالتعبير الصحيح عن الواقع الخارجي، خصوصا من زاوية الارتباط بين الأسماءِ التي تتكون منها القضايا الأولية والأشياءِ التي تكوّن الواقعة"[5]، ونتج عن هذا الارتباط "أن كل اسم يقابله شيءِ واحد والاسم الآخر يقابله شيءِ آخر، ثم ترتبط هذه الأسماءِ ببعضها البعض

[1] فهمي زيدان: في فلسفة اللغة، مرجع سابق، ص 53.

[2] لودفيج فتجنشتين: رسالة منطقية فلسفية، مصدر سابق، فقرة 2,18.

[3] جمال حمود: فلسفة اللغة عند لودفيج فتجنشتين، مرجع سابق، ص 119.

[4] لودفيج فتجنشتين: رسالة منطقية فلسفية، مصدر سابق، فقرة 4,25.

[5] بشير خليفي: اللغة وقضايا اللغة،قراءة في التصور التحليلي، منشورات الاختلاف، الجزائر، ط 1، 2010.ص 115.

بحيث يظهر الكل بمثابة رسم واحد حي يمثل الواقعة الذرية"[1]، وبهذا يعتبر فتجنشتين اللغة بمثابة رسم لما يوجد من وقائع إذ يقول: "إننا نكوّن لأنفسنا رسوما للوقائع"[2].

وفي الحقيقة إن نظرية الرسم المنطقي ما هي إلا محاولة لتطبيق المنطق على الواقع، إذ يعمل فيها المنطق على توفير الشروط الأساسية والعامة لتمثيل الواقع، ولقد استفاد فتجنشتين من أفكار كل من فريج وراسل ووظفهما في هذه النظرية، حيث وظف نظرية فريج في التفريق بين المعنى والدلالة وذلك في شرحه للاختلاف بين المعنى في القضية وبين الدلالة في الاسم[3]، بحيث يذهب فتجنشتين إلى أن المعنى في القضايا التي هي في الوقت ذاته رسوم، مبني على شروط الصدق في تلك القضايا، أي أن القضية تكون ذات معنى إذا كانت تحتمل الصدق أو الكذب، ومعنى هذا أن القضايا هي التي تستطيع وحدها أن تقوم بوظيفة الرسم لا الأسماءِ، ولهذا يرفض فتجنشتين أن تكون الأسماءِ رسوما للأشياءِ، على خلاف ما كان عند فريج أن القضية يمكن أن ترد اسما مركبا (العبارة الوصفية)، إذ يقول في "مذكرات في المنطق": إن "فريج قال: "القضايا هي بمثابة أسماءِ"، كما أن راسل قال: "القضايا تقابل مركبات" هذان القولان خاطئان، وتحديدا خطأ القول "إن القضايا هي أسماءِ مركبات"(*) الوقائع لا يمكن تسميتها"[4]، ومن هنا نجد فتجنشتين يفرّق بين التمثيل عن طريق الرسم وبين التسمية.

وينتج عن هذا التمييز ربط قيمتي الصدق والكذب بالوقائع، وربط المعنى نفسه بشروط الصدق والكذب، بالإضافة إلى أن القضية ذات معنى حتى ولو لم تكن الواقعة موجودة لأن القضية ترسم ولا تسمّي، فالقضية لا تسمّي واقعة ولكنها تمثلها ،وهذا التمثيل هو المصدر الوحيد الذي تحصل من خلاله القضايا على معناها، وهذا مخالف تماما للاسم الذي يسميّ شيئا معينا، ولا يمكن استخدامه استخداما صحيحا إلا في حضور مسماه، وينتج عن هذا أن علاقة التسمية علاقة مفردة بسيطة ومباشرة بين الاسم ومسماه، والتي تتجلى في العلاقة الإشارية التي تربط الأسماءِ بالأشياءِ[5].

ومن هنا تكون اللغة تصويرا منطقيا للوقائع، حيث يربط فتجنشتين بين المنطق والفكر واللغة من زاوية عمل الفلسفة المتمثل في الإيضاح الدقيق للأفكار، وذلك بالتمييز بين القضايا ذات المعنى والأخرى التي لا تحمل أي معنى[6].

وبتحليل العلاقة بين الفكر والواقع واللغة، نجد أن القضية لا تمثل صميم الواقعة بل هي تمثل بالأحرى إمكانية الواقعة أي أن القضية صورة منطقية للواقعة، وبما أنه ليس في الإمكان تحليل الأسماءِ إلى ما هو أبسط منها، لأنها عبارة عن علامات أولية، فليس للأسماءِ من دلالات أو معان، اللهم إلا في

---

[1] لودفيج فتجنشتين: رسالة منطقية فلسفية، مصدر سابق، فقرة 4,0311.

[2] المصدر نفسه، فقرة 2,1.

[3] جمال حمود: فلسفة اللغة عند لودفيج فتجنشتين، مرجع سابق، ص 177.

(*) يقصد هنا نظرية راسل في الأوصاف، التي فرّق فيها العبارات التي تحوي أوصافا وبين العبارات التي تحوي أسماءِ أعلام.

[4] Wittgenstein : Notes sur logique, p 170.

نقلا عن: جمال حمود: المرجع السابق، ص 190.

[5] المرجع نفسه، ص ص 189-191.

[6] ماهر عبد القادر : فلسفة التحليل المعاصر، دار النهضة العربية، د.ط، 1985 ص 262.

سياق القضايا، والأسماءِ ناقصة لا تقبل التأليف أو التركيب إلا بعدد محدود من الطرق وهذا على خلاف ما كان يعتقد فريجه.

والملاحظ في لغة الحياة العادية أن كلمة واحدة بنفسها قد تشير إلى معنيين مختلفين كل الاختلاف، كما أن كلمات مختلفة قد تعني شيئا واحدا بعينه، والسبيل الوحيد إلى تجنب أمثال هذه الصعوبات إنما يكون بابتداع رمزية من نوع خاص؛ رمزية تخضع لقواعد النحو المنطقي، ولو أننا عرفنا دلالة كل رمز أو علامة لكان في وسعنا أن نطبق أمثال هذه القواعد دون أدنى عناءٍ، ولقد حاول فريج وراسل ابتداع رمزية منطقية لحل هذه الصعوبات، من خلال الإيديوغرافيا أو اللغة الكاملة منطقيا، ولكنها في نظر فتجنشتين لم تكن كافية لاستبعاد كل احتمال من احتمالات الأخطاءِ[1].

ولقد انخرط فتجنشتاين في التوجه النقدي للغة العادية، لأن اللغة التي نستخدمها في حياتنا الفكرية تخفي الفكر، ولا تكشف بوضوح عن الصورة المنطقية الحقيقية لعباراتها، لذلك فقد كان راسل على صواب عندما فرّق بين الصورة النحوية للجملة وصورتها المنطقية الحقيقية[2]، لكن فتجنشتين يرى بأن رمزية كل من فريج وراسل أخفقت في تفادي الأخطاءِ والغموض، بل بالعكس تماما يرى أن إيديوغرافيا ليست لغة ومن ثم فلا يمكنها أن تحل محل اللغة، وما هي إلا أداة من أجل البحث عن ماهية التمثيل التي هي حاضرة في كل اللغات وفي كل رمزية[3].

لهذا فبقدر ما انتقد فتجنشتاين اللغة العادية فإنه يشكك في أهمية اللغة الرمزية في توضيح اللبس والغموض الموجودين في اللغة العادية، وكذا لغة الفلاسفة المألوفة، واعتبرها السبب في ظهور طلاسم وألغاز فلسفية، إذ يقول: "إن معظم الأسئلة والقضايا التي يقولها الفلاسفة إنما نشأ عن حقيقة كوننا لا نفهم منطق لغتنا، وإذن فلا عجب إذا عرفنا أن أعمق المشكلات ليست في حقيقتها مشكلات على الإطلاق"[4]، ولحلّ هذه المشكلات فإنه يجب علينا استخدام اللغة استخداما صحيحا وهذا لن يكون إلا إذا عرفنا القواعد المنطقية التي يجب أن نستخدم وفقها الألفاظ والقضايا التي تتكون منها اللغة، وبهذا تصبح الفلسفة حسبه مجموعة قواعد منطقية ترسم حدود التفلسف العلمي من خلال تبيينها لما يمكن أن يقال وما يمكن أن نصمت عنه، لهذا لابد للفلسفة حسبه من لغة منطقية لتحقيق الوضوح، وتحقق لها ذاتيتها وتميزها عن العلوم الطبيعية.

لقد كانت مهمة توضيح طبيعة القضية في المنطق جزءِا من مشروع أكبر جعله فتجنشتين مهمته الأساسية منذ بداياته الفلسفية الأولى إذ يقول "مهمتي الأساسية تمثل في شرح ماهية القضية"[5] وشرح ماهية القضية في المنطق معناه إبراز السمات الأساسية التي تجعل مثل هذه القضايا تحتل وضعا

[1] زكرياءِ إبراهيم: دراسات في الفلسفة المعاصرة، ، دار مصر للطباعة، دار الشروق، ط 4، 1983. ص ص 249-250.

[2] جمال حمود: فلسفة اللغة عند لودفيج فتجنشتين، مرجع سابق، ص 15.

[3] المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

[4] لودفيج فتجنشتين: رسالة منطقية فلسفية، مصدر سابق، فقرة 4,003.

[5] نقلا عن: جمال حمود: فلسفة اللغة عند لودفيج فتجنشتين، مرجع سابق، ص 53.

متميزا بين جميع القضايا الأخرى، لكن المنطق الذي يهتم بالمظاهر الأساسية للغة لم يكن جاهزا بعد، ومن ثمة فإن هذا المنطق يجب أن يعمل بحيث يكون قادرا على أن يكفل نفسه بنفسه[1].

ولعل نقطة التقاطع التي تجمع كلاسيكو فلسفة اللغة- كما أسماهم ماركوني قاصدا: فريج، راسل وفتجنشتين- هي جعل المنطق أساسا تقام عليه الفلسفة، فالمنطق نموذج للوضوح والصدق، وإذا كانت الفلسفة نشاطا توضيحيا لذلك فإنه ليس للفلسفة من أداة للتوضيح أفضل من المنطق. وهذا ما يفسر تبني فتجنشتين مبادئ الذرية المنطقية التي يهدف من خلالها إلى محاولة إقامة لغة مثالية رمزية تتجنب كل عيوب اللغة العادية، وتكون كل مفرداتها محددة المعنى تماما بحيث نصل في نهاية التحليل إلى لغة كل مفرداتها أسماءِ أعلام وأوصافها البسيطة التي يمكن إدراكها مباشرة بالحس، لكن بعدّها قضايا مركبة[2] وهكذا دواليك.

نخلص من خلال النظرية التصويرية لفجنشتين أنه لكي نفهم قضايا اللغة لابد "أن نأخذ بعين الاعتبار -كما يقول فتجنشتين- الكتابة الهيروغليفية التي تظهر من خلال رسم (الصورة) الوقائع التي تصفها"[3] ،حيث تمثل حروف اللغة الهيروغليفية تمثيلا لأشياءِ محسوسة مدركة عينيا، لتدل على معنى الشيءِ بواسطة رسم مصغر للشيءِ نفسه، وينتج عن هذا أن معنى الاسم مرتبط بالإشارة كونه يشير إلى شيءِ ولا تكون له دلالة إلا إذا وجد قابلا للملاحظة في الوجود الخارجي، مع العلم أن فتجنشتين – على خلاف فريجه- لا يقر بالتلازم الضروري بين الاسم وما يشير إليه من خلال عدم وجود صفات جوهرية في الاسم تحدد المطابقة مع ما يشير إليه، كما يرى أن الاسم لا يدل على شيءِ موجود في العالم الخارجي إلا في حالة وجوده في قضية، لذا فإن الأسماءِ مفككة عن بعضها البعض ليس لها معنى ،"فالاسم الوارد في القضية يمثل الشيءِ"[4]، أما معنى القضية فيرتبط بمدى تجسيدها لواقعة معيشة أي أن المعنى هو نفسه مرجع القضية، وهنا يكمن تصور فتجنشتين لمبدأ التحقق الذي يحقق قيم صدقها، فإذا كانت الأشياءِ التي تتحدث عنها القضية موجودة فعليا في الواقع الخارجي كانت صادقة، وإن لم تكن موجودة كانت كاذبة، وإذالم يقابلها شيءِ على الإطلاق اعتبرت خالية من المعنى، فتكون قضايا العلم الطبيعي فقط في القضايا التي تحمل معنى، في حين أن قضايا الرياضيات والمنطق قضايا خالية من المعنى لأنها تحصيل حاصل، كما أن قضايا الخير والجمال وجميع القضايا الميتافيزيقية أيضا قضايا خالية من المعنى لأنها أشباه قضايا.ويوضح الشكل التالي نظرية فنغنشتاين التصويرية:

لكن بعد عام 1945 ارتأى فتجنشتاين أن يكشف ما تضمنته الرسالة من أخطاءِ كبيرة كشفت عن فشل الذرية المنطقية في تخطي العوائق والصعوبات التي واجهتها خاصة فيما تعلق في إعطاءِ تفسير واضح مقنع للقضايا العامة على أساس افتراض وقائع عامة، ما دفعه إلى تغيير آرائه الأولى ورفض أطروحاته السابقة بما فيها نظريته في المعنى والدلالة.

[1] المرجع نفسه، ص ص 56-57.

[2] فهمي زيدان: في فلسفة اللغة، مرجع سابق، ص 39.

[3] لودفيج فتجنشتين: رسالة منطقية فلسفية، مصدر سابق، فقرة 4,016.

[4] المصدر السابق، فقرة 3,22.

2ـ المعنى في نظرية ألعاب اللغة:

حينما انتهى فتجنشتاين من رسالته المنطقية الفلسفية كان واثقا تماما من النتائج التي توصل إليها واعتبرها صادقة لا مجال للشك فيها مطلقا، وأن المشكلات الفلسفية العويصة قد تم حلّها أو على الأقل من حيث المبدأ، إذ يقول: "على أنني أحسب أن الأفكار التي سبقت هنا يستحيل الشك في صدقها أو هي فيما أرى أفكار مقطوع بصحتها، ولذا فإنني أعتقد أن كل ما هو أساسي في المشكلات الفلسفية قد تم حلّه نهائيا"[1].

لكن حينما حلّ عام 1920 وجد فتجنشتين نفسه مضطرا إلى العودة إلى الرسالة، ليراجع أفكاره وإعادة النظر في كل ما كان يظن أنه صادق ويقيني، ومن أهم الأفكار التي تخلى عنها[2]:

1- العالم ينحل إلى وقائع ذرية تتكون من أشياءٍ أو من بسائط منطقية.

2- اللغة تنحل إلى قضايا، والقضايا إلى قضايا أولية تتألف من أسماءٍ، وكل اسم منها يشير إلى شيءٍ من الأشياءِ، فيكون معنى الشيءِ هو الشيءِ الذي يسميه.

3- النظرية التصويرية للغة، حيث أن القضايا ذات معنى تكون رسما للوقائع الموجودة في العالم الخارجي.

4- فكرة الأناوحدوية والتصوف، حيث أن تحقيق القضية يكون بالخبرة الذاتية ،أي أن ما يراه الإنسان في حدود خبرته من وقائع، هو ما يستطيع أن يتكلم عنه[3].

وفي الحقيقة أنه إذا كان ثمة محور أساسي تدور حوله معظم تأملات فتجنشتين في كتابه الجديد "بحوث فلسفية"، فما هذا المحور -كما يرى زكريا إبراهيم- سوى تصوره للغة باعتبارها نشاطا ينحصر في استخدام الكلمات كأدوات، ونجد أنفسنا إزاءِ نظرية جديدة في المعنى أسماها بنظرية الألعاب اللغوية Language games[4]، وهي نظرية مخالفة تماما لنظرية المعنى التي تبناها في الرسالة.

لم تعد اللغة في "البحوث" تنحل إلى مجموعة من القضايا الأولية أو الذرية التي يتوقف صدقها أو كذبها على مدى مطابقتها للوقائع الذرية الموجودة، بل أصبحت اللغة في نظره وسيلة للاتصال بين الناس الذين طوّروها من أجل خدمة الأهداف المختلفة لنشاطات حياتهم المتعددة الجوانب، "فالمشكلات الفلسفية تنشأ حين نسيءِ استخدام اللغة"[5]، أي أننا لو نستخدم لغتنا بشكل جيد إذ تقوم ألفاظها وعباراتها بوظيفتها كاملة، لن تنشأ لدينا مشكلات، ويبقى دور الفلسفة العلاج عن الأعراض التي تنشأ عن سوءِ استخدام اللغة، بالكشف عما له معنى من الكلام وما لا معنى له.

---

[1] لودفيج فتجنشتين: رسالة منطقية فلسفية ،مصدر سابق، ص 60.

[2] المصدر نفسه ،60.

3 محمد عبد الرحمن جابري: نظرية العلامات عند جماعة فيينا: رودولف كارناب نموذجا،دراسة وتحليل، دار الكتاب الجديد المتحدة، ط١، 2010.ص ص 22-23.

[4] زكرياءِ إبراهيم: دراسات في الفلسفة المعاصرة، مرجع سابق، ص ص 256-257.

[5] لودفيج فتجنشتين: المصدر سابق، فقرة 38.

أصبح ينظر إلى الفلسفة على أنها مجرد جهد سلبي يراد من ورائه الكشف عن المتناقضات التي يقع فيها الفلاسفة الميتافيزيقيون، فلا ينحصر دور الفلسفة في "البحث في المعنى" أو الاهتمام بدراسة اللغة العادية فحسب، وإنما تمتد وظيفتها أيضا إلى القضاءِ على نوع خاص من الحيرة والارتباك اللفظي الذي طالما تعرّض له الفلاسفة التقليديون في معالجتهم للعديد من المشكلات الميتافيزيقية[1]، وأصبحت مهمة الفيلسوف تتمثل في العلاج النفسي، والمرضى هم الفلاسفة ومرضهم القلق والحيرة والمآزق الفلسفية التي يكابدونها نتيجة سوءِ استخدامهم للغة العادية أو تجاهلها، حيث يتم استخدام الكلمات بمعان بعيدة كل البعد عن الاستخدام المألوف فخلقوا لأنفسهم مشكلات مثل الشك في وجود العالم، والعلاج المطلوب في مثل هذه الحالات هو العودة إلى اللغة العادية والاستخدام المألوف للكلمات[2].

وهنا نلحظ أن فتجنشتاين تبنى فلسفة التحليل العلاجي Therapeutic analysis للغة، فبعد أن كان يُعتقد في الرسالة أن الغموض ناتج عن عدم وجود قوانين منطقية صارمة في اللغة العادية، أصبح يعد مصدر المشكلات الفلسفية يعود إلى انعدام الاستعمال الصحيح للغة العادية، فلم تعد الكلمات عنده رسوما للوقائع ولكنها أصبحت وسائل للاتصال والتفاعل مع الآخرين، وتتيح عن هذا الموقف تغيرا لطبيعة اللغة ووظائفها.

بعد أن كان فتجنشتاين يؤمن في الرسالة بأن وظيفة اللغة تقتصر فقط في تصوير الواقع الخارجي وتمثيله وتقرير الوقائع الموجودة فيه، فإننا نجده في البحوث يؤمن بأن هذه الوظيفة ليست الوحيدة والأساسية للغة وإنما لها عدد ضخم من الوظائف مثل: إعطاءِ أوامر أو تعبير عن رغبة أو تمثيل دور على المسرح أو قص حكاية أو أداءِ تحية أو شكر ونحو ذلك، بل ذهب أيضا إلى الاعتقاد أن أي كلمة ليس لها معنى واحد، كما كان يعتقد فريج في لغته الرمزية، بل إنما يتحدد معناها باستخدامها في اللغة العادية، وتتعدد المعاني بتعدد هذه الاستخدامات في الظروف المختلفة[3].

وبهذا ينشق فتجنشتين عن دعاة اللغة الرمزية، إذ لم تعد اللغة عنده حسابا منطقيا -كما أراد له هؤلاءِ- لكل كلمة فيه معناها الواحد والمحدد، ولكل جملة أو وظيفة معنى محدد، بحيث تنتقل من جملة إلى ما يلزم عنها من جمل حسب قواعد الاستدلال المنطقي، بل إنه حدد معيار المعنى على الاستخدام المألوف للكلمة في اللغة العادية، وكذا على السياقات المختلفة التي يستخدم فيها، والتي سماها بألعاب اللغة، ولعل النقطة الثورية الجديدة لفتجنشتين في نظريته في المعنى قوله: "لا تسأل عن المعنى وإنما اسأل عن الاستخدام"[4]، فأصبح معنى اللفظ أو الاسم غير مقترن بالطريقة الإشاريةأو التصويرية، وإنما متوقف على سياقات الاستخدام المختلفة التي يسميها "بالألعاب اللغوية".

يقرّ فتجنشتاين أن ما يجب علينا فهمه هو المعنى، وأن ما نفهمه ليس كيفية استخدام العلامات لأننا لا نستطيع استحضار كل الطرق أو النماذج لاستخدام الكلمات الموجودة في ذهننا دفعة واحدة، وحتى نضمن ثبات المعنى وعدم اختلافه من شخص لآخر، لابد من وجود مجموعة من القواعد تضبط

---

[1] زكرياءِ إبراهيم: دراسات في الفلسفة المعاصرة، مرجع سابق، ص 260.

[2] فهمي زيدان: في فلسفة اللغة، مرجع سابق، ص 53.

[3] ، فهمي زيدان: في فلسفة اللغة، مرجع سابق ،ص 40.

[4] لودفيج فتجنشتاين: بحوث فلسفية، ، بحوث فلسفية، ترجمة وتعليق عزمي إسلام، مراجعة وتقديم عبد الغفار مكاوي، مطبوعات جامعة الكويت، الكويت، 1990.فقرة 43.

استخداماتنا للفظ أو الكلمة بحيث يكون له معنى معين، وهذه القواعد يتعلمها الإنسان أثناءِ اكتسابها للغة،وهذا ما يجعله يشبه اللغة باللعبة، فكما أن لعبة الشطرنج تحوي مجموعة من القطع تشبه الألفاظ المستخدمة في اللغة، وكما أن كل قطع الشطرنج تتحرك وفقا لقواعد معينة هي قواعد هذه اللعبة، فكذلك يكون استخدامنا للفظ تبعا لقواعد معينة تحكم استخدامنا للعبة، وهنا نلحظ أوجه الشبه الموجودة بين اللعبة اللغوية وبين لعبة الشطرنج، إذ يشترط فيها وجود متحاورين على الأقل، ووجود وسط لغوي يجمعها، ضف إلى ذلك وجود مجموعة من القواعد التي تتحكم في اللغة من حيث البنية و الصدق و النحو والصوت وأيضا ثنائية المعنى والدلالة، إذ يقول: "لو لم توجد طريقة أداءِ لعبة الشطرنج لما أمكنني أن أقصد ممارسة لعبة الشطرنج، وبقدر ما أقصد تركيب أو بنية الجملة مقدما، فإن ذلك يصبح ممكنا بناءِ على أني أستطيع أن أتكلم اللغة المعنية"[1].

وبما أن فتجنشتاين قد أفاض في الحديث عن اللغة بوصفها لعبة، فما ذلك إلا لأنه وجد في النطق بأي لغة نشاطا معيّنا أو صورة من صور الحياة، وحسبنا كما يقول أن ننظر إلى الأدوات المختلفة التي تصنعها اللغة في شتى استعمالاتها، بل حسبنا أن نمعن النظر في الوظائف المتنوعة التي تضطلع لها اللغة لكي نتحقق من سذاجة تلك النظرة المنطقية التي طالما اصطنعها الفلاسفة في تحليلهم لبناءِ اللغة أو في تصورهم للغة مثالية يكون فيها رمز واضح محدد لكل موضوع بسيط، أو لكل خاصية بسيطة"[2].

وبهذه النظرة يكون فتجنشتاين قد ربط معنى الألفاظ بمجموعة الفعاليات أو السلوكات التي يقوم بها الإنسان إذ يقول: "إن الإنسان حالما يستوعب المعنى يستطيع القيام بفعل معين أو سلوك معين"[3]، ويوضح ذلك مستخدما المثال الآتي: "إذا سألت شخصا ما إذا كان يعرف تحريك البيدق في لعبة الشطرنج ستكون إجابته هي: تعال ولاحظ نفسك إن كنت أستطيع فعل ذلك أم لا؟"[4] ، فإقرار شخص بمعرفة طريقة تحريك البيدق يعتبر معيارا للفهم لكن شريطة أن يتضح ذلك في سلوكه وتصرّفاته.

وانطلاقا من تصرفات الإنسان وسلوكاته يمكن أن نعرف معنى الألفاظ ويمكن أن نحدد شروط صدقها "فإذا أحسن المرءِ استخدام الكلمات عرف معناها، ضف إلى ذلك أنه إذا كانت هناك علاقة بين القول والإنجاز، فيما يتعلق بالعبارة "أعرف كيف أحرك البيدق" فهي صادقة أما إذا لم تحصل على تلك العلاقة بينهما فإن استخدامنا للعبارة يفقد معناها وغايتها"[5]، لهذا نلاحظ أن فتجنشتين لا يركّز على دور العبارة في اللغة فحسب، بل على دور اللغة في الحياة البشرية بصفة عامة، فاللغة تتدخل بصورة فاعلة في حياتنا فتكيف سلوكاتنا وتفاعلنا مع الآخرين، إننا نستعملها كي نأمر، وكي نستفهم ونسأل وكي نشكر بعضنا البعض، وكي نتجادل ونتناقش...الخ، ويجب ألا ننظر إلى اللغة باعتبارها عمليات مجردة، وإنما باعتبارها أداة، وما يحدد العبارة اللغوية هو الكيفية التي تستعمل بها والأغراض التي توظف لها في صميم حياتنا الاعتيادية، على نحو ما ينظر المرءِ إلى جهاز ما أثناءِ تحركه أو دورانه فيفهمه أو يدرك طريقة

---

[1] لودفيج فتجنشتاين: بحوث فلسفية، مصدر سابق،.فقرة 3,37.

[2] زكرياءِ إبراهيم: دراسات في الفلسفة المعاصرة، مرجع سابق، ص 258.

[3] لودفيج فتجنشتاين: بحوث فلسفية، مصدر سابق، فقرة38.

[4] المصدر نفسه، فقرة 43.

[5] عبد الرحمن جابري: نظرية العلامات عند جماعة فيينا، مرجع سابق، ص 331.

استخدامه، وإن عاد الفلاسفة بهذه الكلمات إلى استخداماتها الفعلية المألوفة في اللغة العادية فإن كل مشكلاتهم تحُل، بل ويشعرون أنه لا توجد مشكلات حقيقية وإنما ذابت هذه المشكلات واختفت[1].

انطلاقا من نظرية الاستعمال تبدو لنا بوضوح نزعة فتجنشتين التداولية، حيث نجد أن فتجنشتين -كما يرى محمد مهران رشوان-يصل ألى نظرية سلوكية Behaviouristic في المعنى، بحيث يصبح المعنى منطويا في استعمال الكلمات بطريقة معينة[2].

وهنا نجد مقاربة بين هذه النظرية وبين إلحاح أوستين Austin على أن فعل الكلام هو الظاهرة الحقيقية الوحيدة التي ينبغي إيضاحها في نهاية المطاف، إذ أوضح عام 1963 في كتابه: كيف ننجز الأشياءِ بالكلمات؟*How to do things with words*، أن هناك عددا من الألفاظ التي لا تنقل معلومات ولا تصف أي شيءٍ، وهي بذلك ليست صادقة أو كاذبة.

وإذا قارنا المعنى والدلالة في هذه النظرية بما ورد في الرسالة لوجدنا فارقا جوهريا بينهما: فبينما تضع نظرية الرسم الكلمات في مقابلة الأشياءِ في الواقع بنفس الطريقة وعلى نحو واحد محدد، بحيث لا تستخدم الكلمة الواحدة إلا لكي تدل على شيءٍ واحد، ومن ثم تحقق غرضا واحدا، وهذا هو الأساس الذي يجعل المعنى ثابتا تام التحديد، ما جعل فتجنشتين يرسم حدود المعنى في اللغة بطريقة نهائية[3]، فإنه في البحوث توجه إلى اللغة العادية وبحث في طبيعتها ووظائفها بعيدا عن اللغة المثالية، كونها غامضة مرنة فضفاضة، لكنها صالحة كما هي دون إصلاح أو تهذيب لأي عمل فلسفي أو علمي، وأصبحت بذلك الكلمة متعددة المعاني بتعدد استخداماتها، ولا يوجد معنى واحد محدد كل التحديد، وأصبح كذلك بإمكاننا الدلالة على أشياءِ مختلفة بحسب أغراضنا وظروفنا، وبالمثل أيضا يمكننا استخدام عدة كلمات للدلالة على شيءٍ واحد.

إذن أصبحت الكلمات في اللغة ليست أسماءِ فقط لأشياءِ، بل توجد كلمات لا تشير إلى شيءٍ واحد بعينه، وأن للكلمات وظائف أخرى كثيرة غير التسمية، حتى الكلمة التي نعتبرها اسما لها معنى غير ما تشير إليه أو تدل عليه، وهنا يتضح لنا الاختلاف الكلي بين نظرية المعنى والإشارة عند فريجه، ونظرية الاستعمال عند فتجنشتاين.

وفي الحقيقة إن ربط المعنى بالاستعمال ينسحب على كل طبقات العبارات الدالة، حتى الألفاظ مثل "لو"، "كي" أو "ال"...الخ، التي ليست لها مراجع ولا تحدث صورا ذهنية أو استجابات خاصة، إلا أنه رغم ذلك فإن لها استعمالا، وبما أن المعنى يوازي الاستعمال فإن لهذه الألفاظ معاني، وهذا ما يجعل فتجنشتين -كما يقول زكرياءِ إبراهيم- قد انتهى في خاتمة المطاف إلى تحطيم الإطار الضيق للفلسفة التحليلية التي كان مور وراسل وفريج قبله قد وضعوا دعائمها[4].

---

[1] لودفيج فتجنشتين: بحوث فلسفية، مصدر سابق، فقرة 65.

[2] محمد مهران رشوان: دراسات في فلسفة اللغة، مرجع سابق، ص 176.

[3] جمال حمود: فلسفة اللغة عند لودفيج فتجنشتين، مرجع سابق، ص 308.

[4] زكرياءِ إبراهيم : دراسات في الفلسفة المعاصرة، مرجع سابق، ص 205.

وهكذا أدى ربط المعنى بالاستعمال إلى نوع من المرونة في استخدام اللغة، هذه المرونة التي كان ينظر إليها فتجنشتين، وفلاسفة التحليل قبله مصدر الغموض والخلط الفكري الذي يشوب الفلسفة، وأصبح ينظر إليه فيما بعد -أي في البحوث- على أنه شيء إيجابي.

وتجدر الإشارة في نهاية الحديث عن فلسفة اللغة عند فتجنشتاين إلى أنه في كلتا النظريتين تم تطبيق التحليل المنطقي على اللغة أي تم "استخدام أدوات المنطق الحديث وهذا سعيا لبلوغ الوضوح والدقة، وهي الأقانيم التي تهدف إليها الفلسفة التحليلية عموما، كما يمكن أن نقول إن تأثر فتجنشتاين بفريج واضح وباد في كلتا النظريتين"[1]، وخاصة فيما يعرف بمبدأ السياق Principe de contexte، ففي الوقت الذي استخدم فيه فريج هذا المبدأ دفاعا عن موضوعية المعنى وثباته واستقلاله فإن فتجنشتين يستخدمه بنفس الطريقة ولنفس الأسباب ،بل إنه وسع من تطبيقه ليشمل جميع سياقات الحياة اليومية في نظريته الثانية: "إذ أنه بالنسبة "لفتجنشتاين الرسالة" أو "لفتجنشتاين البحوث" فإن فهم أي قضية يقوم دائما على الدور الذي تؤديه العلامة أو الرمز اللغوي في القضية، وبذلك فإننا لا يمكن أن نفعل شيئا إلا في سياق الاستعمال الدلالي"[2].

فبمبدأ السياق فقط نفرق كيف نستخدم العلامات في اللغة، ولقد ترجمه فتجنشتاين في الرسالة بأن معرفة دلالة كلمة ما هي معرفة اللغة برمتها، الأمر الذي يعني بأنه لا يمكن عزل الاسم فحسب بل أيضا لأمكن عزل قضية عن بقية لغة تامة[3]، وترجم في البحوث على ضرورة فهم معاني الكلمات وفقا لمجموعة من السياقات التي ترد فيها ومراعاة قواعد الاستعمال، إذ أنه في ظل هذه القواعد نعرف كيف نستخدم كلمة ما في قضية وكيف نستخدم القضية في إطار اللغة[4]، كما أكد فتجنشتاين على أن المعنى موضوعي مشترك بين جميع الناس وذلك يتجلى في معرفة قواعد المنطق في الرسالة ومعرفة قواعد الاستخدام في البحث، وهذه القواعد هي التي تشكل السياق الذي يحفظ هذه الموضوعية وهذا الاشتراك،حسب ماهو موضح في الشكل التالي:

وفي الحقيقة إن قيمة مبدأ السياق الذي أقره فريجه هي التي جعلت أعماله تكتسب شهرة لم تعرف لها حدودا خاصة عند فلاسفة اللغة العادية وفلاسفة مدرسة أكسفورد الذين أكدوا على وجود استعمالات مختلفة للغة تختلف باختلاف السياقات والحياة اليومية، وبالتالي راحوا يبحثون عن قواعد الاستعمال التي تحكم استعمال الألفاظ والعبارات تحت ظرف أو آخر[5].

وإذا كانت النظرية السياقية قد ظهرت على أنقاض البنيوية، فإن الفلسفة التحليلية بزعامة فريج قد دعمت الموقف السياقي وجاءت لتجعل من اللغة فعلا تحاول من خلاله أن تهتم بالاستعمالات الفعلية للكلام وتفسيرها وأصبحت اللغة -كما يقول بالمر- "أسلوب عمل وليس توثيقا للفكر"[6].

---

[1] جمال حمود: فلسفة اللغة عند لودفيج فتجنشتين، مرجع سابق، ص 309.

[2] Charlotte Gauvy : Principe de contexte et circonstances de Frege à Wittgenstein, implications philosophique, n°20, université de Paris, novembre 2011, pp 08-09.

[3] مليكة ولباني: ماذا يعني مصطلح تحليلي. مرجع سابق، ص 09.

[4] Charlotte Gauvy : Principe de contexte, Op.cit, p 11.

[5] صلاح إسماعيل عبد الحق: التحليل اللغوي عند مدرسة أكسفورد، دار التنوير، ط 1، 1993، ص 58.

6 ، فرانک بالمر: علم الدلالة: إطار جديد، ترجمة صبري إبراهيم السيد، دار المعرفة الجامعية، 1995. ص 75.

إن القيمة الحقيقية للسياق تكمن في أنه العش الذي تحيا فيه اللفظة وهو ما يؤكد الوظيفة الاجتماعية للغة، ومن هنا فإن تعدد المعنى الوظيفي للأداة ودلالتها يكون حسب ما تفيده من السياق، فالسياق هو الذي يعكس تشابك العلاقات بين المعطيات الصرفية والنحوية، وهذا يعني أن اللغة نظام لربط الكلمات بعضها ببعض وفقا لمقتضيات دلالتها العقلية لكي تتمكن من القيام بوظيفتها الأساسية كوسيلة للاتصال بين الناس.

وأصبحت اللغة إذن بمقتضى مبدأ السياق لا تقتصر على كونها وسيلة من وسائل الثقافة، وإنما هي أساس كل نشاط ثقافي، ففي كل مجتمع مهما كانت طبيعته وامتداده، تبقى اللغة أقوى الروابط بين أعضاءِ هذا المجتمع، وفي الوقت نفسه تشكل رمزا إلى حياتهم المشتركة وضمان لها، وهنا تظهر لنا لا محالة قيمة مبدأ السياق ابستيمولوجيا وأكسيولوجيا وحتى اجتماعيا، والذي يعكس في نفس الوقت القيمة الكبرى لآراءِ فريجه اللغوية.

وهكذا نخلص إلى أن فتجنشتاين وإن لم يكن يشاطر كثيرا التصورات الفريجية حول الفكر والمعنى والدلالة وحتى في قيم الصدق إلا أنه من المؤكد قد استلهم الكثير من أفكاره وطوّرها بشكل لم يعرف لها مثيل.